الحج و معطياته

السياسيةُ ، الإجتماعيةُ و الثقافيةُ

السيد على قاضى عسكر

شهر شوّال المكَّرم، ١٤٣١ هـ = اكتبر ٢٠١٠م

تعريب و اعداد: ايوب حائرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين، لاسيما بقية الله في الارضين، وصحبه الأخيار المنتجبين.

قال الله تعالى: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىَ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ × لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللهِ فِيَ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ**﴾[1].

لاشكّ أنَّ الحج هو ركن من أركان الدين ، ومن أعظم شعائره ،وأحد أكبر الفرائض الخمس التي بني الإسلام عليها، [2] ومن أفضل الأعمال التي يراد بها التقرّب إلى الله تعالى[3]،وتركه ارتكاب لكبيرة من الكبائر، مما يتسبب في خروج المرء عن جادّة الإسلام والمسلمين[4].

ومع أنَّ الحج يبدو وكأنَّه عبادة من العبادات الأخرى، إلا أنَّ هذه العبادة تجتمع فيهاجوانب وأبعاداً أخرى من العبادات ، ولذا لا يمكن لأيِّ عبادة أن توازيه في ذلك[5]، ولا ثواب لهذه الفريضة سوى حيازة رضوان الله ودخول جنّته كما قال رسول الله ﷺ: «**لو أنفقتَ فى سبيل الله بحجم جبل أبى قبيس ذهباً، لن تصل مرتبة الحاجّ وما يحوزه من القَدر**»[6].

إنَّ أوَّل ما نلتقي به من نصوص الحج هو النِّداء الأوّل الذي وجَّهه الله للنبي إبراهيم عليه السلام في دعوة الناس إلى الحج.. وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ..... لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ** ....﴾[7]، فإننا نجد في هذا النِّداء دعوة إلى أداء فريضة الحج مقروناً ببيان حكمته ، حيث ذكر المنافع من دون تحديد لطبيعتها وحجمها ، للإيحاء بالانطلاق في هذا الاتجاه للبحث عن كل المجالات النافعة من الجوانب الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية،و التي يمكن لهم أن يحققوها من خلال الحج في حياتهم الفردية والاجتماعية إلى جانب الروح العبادية المتمثلة بذكر الله في أيام معدودات ،و يأتي هذا المقال الموجز تبياناً

---

(١) **سورة الحج**: ٢٧- ٢٨.

(٢) **قال الباقر** عليه السلام: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية...». **وسائل الشيعة**١: ٧و٨، **أصول الكافى**١: ٣١٥.

(٣) **جواهر الكلام**١٧: ٢١٤.

(٤) **تحرير الوسيلة**١: ٣٧٠، **وسائل الشيعة**٨: ١٩و٢١.

(٥) «**قال الصادق** عليه السلام:«ليس شيء أفضل من الحج إلا الصلاة، وفي الحج هنا صلاة»، **علل الشرائع**: ١٥٦. **وسائل الشيعة**٨: ٧٧، **الحديث** ٢.

(٦)**راجع وسائل الشيعة**٨: ٧٩، **الحديث**١، **مستدرک الوسائل كتاب الحج، الباب**٢٤، **الحديث**٢٢و ٢٤، **صحيح مسلم**٤: ١٠٧.

(٧) **سورة الحج**: ٢٧،٢٨.

لما يتعلق بهذه العبادة بأشكالها وأبعادها المختلفة، استناداً إلى كتاب الله العزيز، والسنة النبوية الشريفة، وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام ،وسنركِّز في البحث على الجانب السياسي والإجتماعي،و الثقافي لأهمِّيتها في واقعنا المعاصر شعوباً ودولاً، وقبله لا بدَّ من تمهيدٍ:

۞- واقع الحج فى العصر الحاضر

إنَّ الواقع الذي يعيشه الحج في هذه المرحلة من تاريخ الإسلام، و فيه الحشد الكبير من البشر، الوافدون إلى بيت الله الحرام من مشارق الأرض ومغاربها، من مختلف القوميات والألوان، قد أخبربه النبي صلى الله عليه وآله إذ يقول ابن عبّاس: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع وقد أمسك بباب الكعبة، فالتفت نحو الناس وذكر حوادث تقع في المستقبل لأناس آخر الزمان، وذكر ضمن حديثه شيئاً عن حج آخر الزمان قائلاً:«**يحجّ أغنياء أمتى للنزهة، ويحجّ أوساطها للتجارة، ويحجّ فقراؤهم للرياء والسمعة**»[٨]، فمن هذا الحديث الشريف نفهم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان قلقاً من أن يصبح الحجّ بهذا الشكل ويبدّل ويحوَّل إلى رحلة تجارية وسياحية ، حيث سيفقد عناصره وروحه وحقيقته،وأهدافه، وحينئذ بدل من أن يكون الحج بنّاءً،وحلاًّلاً لمشاكل العالم الإسلامي سيتّخذ سبيلاً للوصول إلى الأهداف الدنيوية ،وتسعى بعض الجهات إلى تحويله عن أهدافه الإسلامية الأصلية.

وإذا تطلّعنا إلى وضع المسلمين، في يومنا هذا سنجد الاختلافات المذهبية بينهم قد كثرت وكادت أن تتحجّر وتتجمّد ولا يملك أصحابها تحريكها أو توجيهها،وإصلاحها..... وبذلك يتحول هذا المجتمع الإسلامي إلى مجتمع تتزايد فيه المشاحنات والأحقاد بدلاً من أن يكون مجتمعاً تذوب فيه كل هذه العوامل السلبيّة.

وإننا ومع الأسف نواجه الآن الواقع الإسلامي المرتبك المضطرب الضائع بين الاتجاهات السياسية الذي يعيش فيه المسلمون بين واقع خاضع للسيطرة الاستعمارية بشكل مباشر، كما في فلسطين والعراق وأفغانستان... وغيرها من البلاد الخاضعة للاستعمار القديم والجديد، وبين واقع خاضع للحكم الاستعماري المقنع بقناع وطني أو إسلامي فيما يمارسه من ظلمٍ واضطهاد وتفتيت للثروات والطاقات الإسلامية ، وإفساد للفكر والعمل في كل مجالات الحياة.

---

(٨)مجمع النورين للمرندى : ٢٩٣،الميزان فى تفسير القران ٥: ٤٣٤.

إنَّ هذا الواقع يفرض على علماء الإسلام ومفكريهم العمل على تحويل موسم الحج إلى موسم إسلاميّ كما أراده الله؛ ليكون مجمعاً للمسلمين يلتقي فيه المفكرون في حوار فكري إسلاميّ سليم؛ ليصلوا إلى القناعات المشتركة، أو المتقاربة، و ليفهموا وجهة نظر كل منهم؛... ليصلوا في نهاية المطاف، إلى الوحدة في الفكر والأسلوب الصحيح في العمل، حيث تقع بالدرجة الأولى على عاتقهم المسؤولية الفكرية، والإرشادية والتعليمية في المجتمعات الإسلامية كافّة.

وفي هذا الاتجاه،وللوصول إلى تلك الأهداف المنشودة يعمل العلماء المخلصون على لقاء فكرية، من أجل أن يتبادلوا الأفكار والخبرات ويتعارفوا فيما يحملون من تطلعات وأهداف، وفيما يرتكزون عليه من منطلقات ، ليبحثوا في أنفسهم كيف يحولون الخلافات مابينهم إلى قناعات مشتركة، و خطوات عملية للتعاون من أجل تكامل العمل الإسلامي ، وتوحيد الطاقات الفاعلة في سبيل حل مشاكل الإسلام والمسلمين ،وليبحثوا مشاكل التحرر من الاستعمار والخروج من سيطرة الضغوط السياسية والاقتصادية، والثقافية.

وإننا نؤكد على مثل هذه اللقاءات المباشرة، لأنَّ الاعتماد القراءة الفكرية في الكتب والمجلات وعبر القنوات لا تستطيع – غالباً- أن تمنح الموقف الإسلامي وضوحاً وتقرب وجهات النظر، بحيث تزيل الشبهات العالقة في أذهان البعض ضد بعضهم الآخر، فإن مثل هذا الاجتماع يصحح كثيراً من الانحرافات، ويوحّد وينظِّم كثيراً من الجهود المبذولة، وهناك الكثير من المنافع والفوائد التي نستطيع أن نحققها في هذا الموسم الإسلامي الكبير مما يجب أن نفكر فيه ونعمل له ونصل إليه من أهداف إقتصادية أو إجتماعية أوثقافية أوسياسية ، ونبدأ بالبحث حول الأهداف السياسية للحج:

۞- الأهداف السياسية للحج

لتوضيح البعد السياسي للحجّ،والأهداف المنشودة منه نعتمد على كلام الله المجيد ، حيث يعرّف الكعبة بصراحة وبوضوح على أنها العامل والدافع لقيام الناس ونهضتهم في قوله تعالى:﴿**جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لّلنّاسِ**﴾[٩]، وهذا القيام يتضمن معاني مفاهيم سياسية كثيرة منها الاستقلال والاعتماد و الاتّكال على النفس، والمشاركة الفعّالة في النشاطات الإجتماعية،وغيرها من المعاني والأعمال التي ينبغي أن نقوم بها لله فرادى وجماعة كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ .... ﴾[١٠]

لقد ذكرنا بعض ماجاء من الآيات حول هذا الموضوع،وأمَّا ماجاء من الروايات فإنَّ هناك الكثير ما يبيّن بوضوح البعد السياسي للحج،فإن حديث «**الحج جهاد الضعفاء**» والمنقول بطرق مختلفة[١١]، والتناسب الماهوي بين الاشتراك في غزوة مع الرسول ﷺ وحجّ بيت الله في الحديث التالي: «**الغازى فى سبيل الله والحاجّ والمعتمر وفد الله دعاهم**»[١٢] يعلّمنا أن هناك علاقة وثيقة بين البعد السياسي ،والجانب الجهادي و العسكري للحجّ و أن المجاهدين في سبيل الله وحجّاج بيت الله صفوة منتخبة من قبل لله تعالى في خندق واحد ضد العدو.

ونرى تعبيراً أبسط آخر في بعض الروايات: «**الحجّ جهاد**»[١٣]، وفي حديث عن رسول الله ﷺ: «**نعم الجهاد الحج**»[١٤] وعلى هذا فإن الحج ليس فقط من مصاديق الجهاد، بل هو أبهى صور الجهاد في سبيل الله، وأنَّ المراسيم العظيمة في الحجّ إنما هي صورة من صور الجبهة والجهاد في سبيل الله، وقد ورد حديث عن الرسول الأكرم ﷺ يزيل كل شكّ وشبهة في هذا المجال: «**النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله**»[١٥].

إنَّ التساوي والمساواة بين الحج والجهاد في الإسلام هو بيانٌ لمجموع الإسلام، ويبيّن الحقيقة القائلة: إن هاتين الفريضتين كانتا وما تزالان تمتلكان أهدافاً مشتركة، وفي الوقت نفسه فلكلّ منهما خصوصية ما

---

(٩) سورة المائدة: ٩٧.

(١٠) سورة سبأ: ٤٦.

(١١) من لا يحضره الفقيه٢: ٣٥٩، علل الشرايع: ٥٧.

(١٢) سنن ابن ماجة، المناسک٥، سنن النسائى، الحج: ٤.

(١٣) سنن ابن ماجة، المناسک: ٤٤.

(١٤) صحيح البخارى، كتاب الجهاد: ٦٢.

(١٥) مسند أحمد بن حنبل٥: ٢٠٠.

هوية خاصّة بهما، ويعدّ كلّ منهما عبادةً وعملاً سياسياً لتقوية وتحقيق الأهداف السياسية للإسلام على حدّ سواء.

وفي الحجّ وعند انتهائه بداية لتحرّك الأمة وقيادة الإمام، حيث تضع الأمة كل إمكاناتها وقدراتها تحت تصرف القيادة، وذلك بعد اكتسابها القوة والطاقة من مناسك الحج، حتى تجعل الأمة من الإمام منتصراً وظافراً ، وقد أشار الإمام الباقر عليه السلام بهذا الأمر في جموع الطائفين حيث قال: «**أُمروا أن يتطوّفوا بهذا ثم يأتونا فيعرّفوننا مودّتهم ثم يعرضوا علينا نصرهم**»(١٦)،

فمن ذا الذي يستطيع في مقابل مثل هذه التصريحات الثابتة للنبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهداة من آله أن يدخل الشك في قلبه فيما يتعلّق بفلسفة الحجّ السياسية؟ ومن ذا الذي يمتنع عن رفض واستنكار الصدى المنكِر والإعلام الداعي إلى فصل الدين عن السياسة والقائل بعزلِ مراسيم الحج عن المنافع السياسية ؟

ومن كتاب (**الحج مؤتمر عبادى سياسى**)؛ ننقل النص التالي عن خطاب للإمام الخميني رضوان الله عليه في٢٢/شوال/١٤٠٥هـ: «لقد عزمنا منذ البداية على أن نؤدي الحج كما كان في عهد رسول الله، كيف أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حطم الأصنام في الكعبة؛ نحن أيضا نريد أن نحطمَّ الأصنام، وان هذه الأصنام الموجودة في عصرنا، هي أعظم وأسوء من أصنام ذلك الوقت».

ويقول الإمام الخميني قدس سره أيضاً:«في هذا الاجتماع المقدس للحج؛ يجب أولا: بحث المسائل الأساسية الإسلام، وثانيا: تبادل وجهات النظر في المسائل الخاصة للدول الإسلامية، انظروا ماذا يجري على الأخوة المسلمين في داخل دولهم من الاستعمار وعملائه وأتباعه، يجب أن يقدموا تقريرا لمسلمي العالم في هذا الاجتماع المقدس يشرحون فيه ما تعانيه شعوبهم من مصاعب ومتاعب»(١٧).

إنَّ هناك أبعاداً كثيرةً في الحج لازال لم تتحقق ومنها البعد السياسي. ولو تحقق جزءً مما يعد به الحج في توحيد الأمة كما هو المفترض لتحقق للمسلمين كثيراً من المنجزات على كافة الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والثقافية .

فالبعد السياسي للحج من أكثر الأبعاد المهجورة والمغفلة، وقد عمل الجناة وما زالوا يعملون على هجرانه، يساعدهم في ذلك علماء البلاط و وعاظ السلاطين. وهذا لا يشكل بحد ذاته حجة للمسلمين أن يتقاعسوا عن الإيفاء بمتطلبات الحج، فعلى الأقل هناك قضايا مشتركة مهمة يعاني منه جميع المسلمين،

---

(١٦) **مستدرک الوسائل. کتاب الحج: ١٨٩.**

(١٧) **أبعاد الحج فى كلام الإمام الخمينى قدس سره: ٤٢ (نشر جمعية المعارف الإسلامية، ط١، بيروت-١٤٢٢هـ)**

يمكن أن تطرح من خلال تجمعات الحج، ويكمن أن يجدوا لها حلول من خلال التشاور، ومن ثم ينقلون تلك الحلول إلى بلدانهم.

ولكن وللأسف لا زال لا تجد أية حركة إيجابية جادة تتناول قضايا المسلمين بالدرس والمناقشة والمعالجة، في موسم الحج سواء فيما يتعلق بالأوضاع السياسية التي يعيش فيها المسلمون مشاكل الحرية والعزة والكرامة، بسبب وقوعهم تحت قبضة الاضطهاد الاستعماري والفكري والعنصري، أو فيما يتعلق بالأوضاع الاقتصادية التي تتصل بثرواتهم المعدنية والزراعية، فيما يواجهه المسلمون من محاولات ظالمة في الضغط المتواصل، من قبل الدول المستعمرة ، لتعطيل خطط التصنيع والإنتاج في سياسة الاكتفاء الذاتي التي يتطلع إليها العالم الإسلاميّ، وذلك لإبقاء هذه الشعوب سوقاً استهلاكية لمنتجاتها، من أجل أن تشغلها عن خطط التنمية والتطوير.

ومع وجود هذه السلبيات في معظم مجتمعاتنا الإسلامية لازلنا لانسمع في موسم الحج الأصوات الهادرة، التي تحاول أن تُثير المشاعر الإسلاميّة ضد هذا الواقع السيئ كوسيلةٍ من وسائل الإثارة نحو التغيير...،ما عدى صوت الثورة الإسلاميّة المباركة ،والتي حاولت الجمهورية الإسلاميّة في إيران في السنة الأولى لانطلاقتها، أن تحرّك الجوّ الإسلاميّ هناك، من خلال طرحها للشعارات الإسلاميّة التي تعالج قضايا المسلمين في العمق ، وأن تدعو المسلمين إلى تحويل الحج إلى مؤتمر إسلاميّ عام، تبحث فيه المشاكل الصعبة التي يعانيها العالم الإسلامي وذلك في محاولةٍ إلى أن يقوموا بالحركة الإسلاميّة العالمية في الخط الإسلامي السليم الذي يعالج كل أوضاع العالم الإسلامي بصدقٍ وإخلاص.. ولكن هذه المحاولة قوبلت بالضغط والتضييق والقهر والتشويه، وذلك نتيجة الخوف من تغيير الأوضاع.

۞- البعد الاجتماعى للحج

إنَّ أهم ما تفتقده المجتمعات الإسلامية الرفق، الأمان والتوحد في العقيدة الضامنة لسعادة الدارين الدنيا والآخرة، ومن مهام الحج؛ تحقيق الأمان في العلاقات الاجتماعية، وتوفير فرصة نموذجية للرفق بين الناس، وتوحيد صفوفهم وتوثيق عرى الوحدة بينهم وفي هذا المعنى يقول الإمام الخميني ﷺ «يجب أن نعلم إن إحدى الفلسفات الاجتماعية لهذا التجمع العظيم من جميع أنحاء العالم؛ توثيق عرى الوحدة بين أتباع نبي الإسلام، أتباع القران الكريم في مقابل طواغيت العالم»[١٨].

ويتحقق البعد الاجتماعي في الحج من خلال ما يلي:

١- التحرر من الأنا والتخلص من سلطان الشهوات:من خلال الانسلاخ بالجمع والسلوك الجمعي في المسيرة الإيمانية إلى الله تعالى ابتداء من الميقات، فلا ميزة لأحد على احد، بلون أو ملبس أو منصب أو أي من ميزات اعتادوها الناس في حياتهم،فان أكثر ما يثير المتاعب بين الناس، هو التصادم الذي يحدث بين الذوات والأنانيات ، وعندما تذوب الذات وتنصهر، يخلص الإنسان من طغيان الأنا ولقاءاته السلبية مع الآخرين.

وتفرض مناسك الحج أحكام تخلص الإنسان من سلطان الهوى والشهوات ، وهي مسالة في غاية الأهمية، إضافة لهذا منسك رجم الشيطان،باعتباره رمز الشهوات.

٢- الانصهار فى الجماعة:فبعد أن انسلخ الإنسان من الأنا، وانسلخ عن ذاته، وجد نفسه فجأة في وسط حشد بشري كبير، لا يمتاز بعضهم عن بعض، ولا يكاد يفرق بينهم شيء، بنداء واحد، وتوجه واحد، والى الطواف حول مركز واحد، ثم تتوجه هذه الجموع الموحَّد والموحِّد من الحجاج لرجم الشياطين؛و يقول الإمام الخميني ﷺ في ذلك: «يجب طرد الشياطين الكبيرة والصغيرة والوسطى(أولى، وسطى، وعقبة)عن حرم الإسلام المقدس والكعبة والحرم، ويجب قطع ايادي الشياطين عن الكعبة،... »[١٩].

---

(١٨)أبعاد الحج فى كلام الإمام الخمينى ﷺ:٢٧ (نشر جمعية المعارف الإسلامية، ط١، بيروت-١٤٢٢هـ.

(١٩)أبعاد الحج فى كلام الإمام الخمينى ﷺ: ٢٩ .

۞- دور الحج في التطوّر الثقافي

عندما يكون بيت الله الحرام علَماً ورايةً للإسلام كما عبَّر عنه علي بن أبي طالب عليه السلام إذ يقول: «**جعله الله سبحانه وتعالي للإسلام علماً**»[٢٠] وعند مايكون ترك الحجّ كفراً لا محالة، حيث يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مخاطباً علياً عليه السلام: «**يا علي تارك الحجّ وهو مستطيع كافر**»[٢١] ويستدل بالقرآن لتأكيد ذلك: ﴿**وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنّ اللّه غَنِيّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[٢٢]. ولا يكتفي لذلك بل يوضّح أكثر حيث يقول: «**يا علي من سوّف الحجّ حتّي يموت بعثة الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً**»[٢٣]، فهنا يتّضح دور الحج في تغذية الإيمان والارتقاء الثقافي والعلمي للمسلمين أكثر من أي مكان آخر، وكأني بالحجّ وهو يمثّل دورة تعليميّة في الدين، حيث لا يصل المسلمون إلى حقيقة الإيمان إلا بدخول تلك الدورة على الأقل مرة واحدة في حياتهم[٢٤].

ويوصي الإمام علي بن الحسين عليه السلام- وهو أحد المسارعين دائماً إلى حجّ بيت الله الحرام- أصحابه قائلاً: «**حجّوا واعتمروا... يصلح إيمانكم**»[٢٥].

وحين يسأل هشام بن عبد الملك الإمام الصادق عليه السلام عن فلسفة الحج، يجيب الإمام عليه السلام عند ذكره لحكمة الحجّ قائلاً: «**فجعل الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا... ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله، وتعرف أخباره ويذ كر ولا ينسي، ولو كان قوم يتكلّون علي بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد وسقطت الجلب والأرباح وعميت الأخبار ولم تقفوا علي ذلک فذلک علّة الحجّ**»[٢٦].

إنّ الحج بحق رجوع إلى التوحيد وتاريخ حماة هذه الفريضة، آدم وإبراهيم وإسماعيل وصولاً إلى الإسلام ونبيّه صلى الله عليه وآله، وصدام متواصل بين الإيمان من جهة والكفر والنفاق من جهة أخرى، وببقاء الكعبة

---

(٢٠) نهج البلاغة، الخطبة١.

(٢١) من لا يحضره الفقيه٢: ٣٣٥، الخصال ٢: ٦١.

(٢٢) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢٣)بحار الأنوار٧٤: ٥٩، وسائل الشيعة٨: ٢١.

(٢٤) المحجّة البيضاء٢: ١٤٥.

(٢٥) وسائل الشيعة٨: ٢١.

(٢٦) علل الشرائع: ٤٠٥، الحديث٦.

شامخة سيظلّ هذا التأريخ متجسداً وعاكساً للتوحيد وعلماً ومعلماً نشأت عنه حقائق الدين؛ فيخلد بذلك التوحيد وثقافته ويحيا حياةً أبدية.

إن الحجّ تعليم عمليّ لثقافة المساواة والأخوّة والتعاون نحو الخير ومصلحة الإنسانية، وهو فرصة ذهبية للتبليغ ونشر الثقافة الإسلامية الغنية في الطبقات الواسعة من المسلمين حيث يبثّ عامل القوة في المجتمعات الإسلامية والذي له دور فاعل وأساسيّ.

ولا ريب في أن المقدمات الأولية للذهاب إلى الحجّ تتمثل بتعلم الكثير من المسائل الإسلامية والتفقّه الابتدائي، وهي أرضية مناسبة تتيح لعلماء الإسلام إرشاد جموع غفيرة من المسلمين، ونشر الثقافة الإسلامية وإشاعة التفقّه في الدين. وبالتأكيد فإن روحانية الحج هي نفسها عامل مهم يهيأ القلوب لتعلّم الحقائق والمعارف الدينيّة للإسلام.

يقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مخاطباً الفضل بن شاذان[٢٧]:« **إنما أمروا بالحج لعلّة الوفادة إلي الله..... مع ما فيه من التفقّه ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلي كلِّ صقعٍ وناحيةٍ كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلّ فِرْقَةٍ مّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لّيَتَفَقّهُواْ فِى الدّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوَاْ إِلَيْهِمْ لَعَلّهُمْ يَحْذَرُونَ»﴾**[٢٨].

ولا تقتصر نعمة وبركة نشر المعارف والثقافة الإسلامية في مراسم الحج على المسلمين القادمين من أقصى البقاع أو أقربها، ذلك أن كلاً من هؤلاء المسلمين سينقل معه تلك الثقافة وما تعلمه إلى بلده ويعمل على نشرها هناك وبثّها في أواسط المسلمين كافّة، وعلى هذا يتخذ دور الحج أبعاداً أوسع وخصوصاً بتكرار عملية الحجّ كل عام، ويجعل من الدين أقوى آصرة تلم المسلمين وتضمن خلود الإسلام.

وقد وردت هذه الحقيقة في حديث قصير وبليغ للإمام علي عليه السلام حيث يقول: «**فرض الله... والحجّ توقيةً للدين**»[٢٩]، والإمام الصادق عليه السلام يصرِّح بهذه الحقيقة إذ يقول: «**لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة**»[٣٠].

إنَّ النمو الثقافي هو الهدف الذي ينشده الإسلام في مراسم الحجّ البهيّة، ويقوّي هذه الأرضية ويعزّز الحقيقة القائلة: إنَّ جميع البشر على الرغم من الاختلاف في اللون والبشرة والعنصر واللغة والميزات الإقليمية

---

(٢٧) عيون أخبار الرضا: ٢٣٦.

(٢٨) سورة التوبة: ١٢٣.

(٢٩) نهج البلاغة، المواعظ والحكم، رقم ٢٤٤.

(٣٠) الكافي ٤: ٢٧١، الحديث ٤.

والتأريخية والطبقية وغيرها يتمتّعون بفطرة واحدة، وإن هذه الفطرة متساوية عند كل البشر، والتي تمنح الثقافة الإنسانية وترسمها بصورة عامّة وشمولية تامّة لماهية الإنسان.

وأثناء المسيرة التي تقطعها مناسك الحج تتحرّر الثقافات الجامدة، وتخرج عن نطاق العادات والسنن القومية والإقليمية ودائرة الهوية الوطنية، وتنتمي إلى الهوية الإسلامية الجامعة ..

ويدرك الإنسان في الحجّ أصالة البنية التحتية للثقافة الإنسانية، التي هي نفسها الثقافة التوحيدية الإبراهيمية الخالصة دون أن يفقد الإنسان أياً من القيم الثقافية والعادات والتقاليد الخاصّة به، فيما يتعلّق بالمسائل والأشكال التي تؤلف حياته الطبيعية، مهما كانت جنسيته وقوميته .

والحقّ أنّ الحج دورة تعليمية تتيح انتقال الثقافات، والتعرّف على الثقافة الإنسانية الفطرية للحصول على هوية ثقافية إسلامية مشتركة، فتتمسك الملايين بتلك الشجرة الطيبة الثابتة ،وتأكل من ثمارها اليانعة إذ يقول تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٣١].

وختاماً لهذا المقال و في نهاية بحثنا الموجز حول أهمية الجانب الثقافي لموسم الحج نأتي باقتراح نرجو أن ينال رضا المؤمنين،(الحاضرين) حيث نصل إلى نتيجتين من خلال النظر إلى البعد الثقافي للحج واللتين تعتبران من الأسرار والنتائج الحياتية والحكم والأهداف الأصلية لهذه الفريضة العظيمة:

أولاً- ينبغي أن تقام مراسيم ومناسك الحج بطريقة يتمّ بواسطتها اتصال وتواصل الشعوب الإسلامية، وتثبيت الرابطة فيما بين الثقافات والتراث والهويّات الوطنية على أساسٍ من التفاهم المنطقي وتتهيأ الأرضية المناسبة للتعاون والمشاركة الثقافية؛ لتقوية وتعزيز التعرّف على الثقافة والهوية الإسلامية، على أساس المعايير والموازين الأصلية المشتركة ، فيزول بذلك كل جهل وتعصب، ويتحرر عموم المسلمين من القيود التي فرضها الاستعمار الغربي باسم الثقافة الوطنية ، بدل إحياء الثقافة الإسلامية الأصلية المشتركة بين المسلمين .

ثانياً- ينبغي أن تبدأ مراسيم الحج باستئصال جذور الثقافة الاستعمارية، والارتباط الثقافي للشعوب الإسلامية بالغرب والشرق وكلّ المصادر التي تمّت بصلة إلى روح الاستعمار والاستثمار، حيث أن الحج

---

(٣١) سورة إبراهيم: ٢٤- ٢٥.

رجوع وعود عقلاني إلى الإسلام الأصيل، وتعليم لإصلاح الإيمان ومعرفة لآثار وتراث الإسلام ورسوله ﷺ وتذكرة للتفكير التوحيدي الفطري. لذا وجب على الحاج تجريد فكره وروحه وعقله ونفسه عن الثقافات غيرالتوحيدية، والارتباطات الثقافية التي تبعده عن الله ورسوله ﷺ والتي تجذبه نحو خدمة المصالح الغربية والشرقية.

وللوصول للهدفين المذكورين نقترح كما يلى:

١- من الضروري أن يكون هناك تفاهم وتقارب ثقافي على المستوى المفكرين والمتخصّصين في مجال إقامة مراسيم الحجّ، إذا أريد للهدفين المذكورين أن يتحققا على أكمل وجه، وأن يخصص العلماء جزءاً من وقتهم لذلك،في موسم الحج لتبين هذا المشروع الثقافي بدءً بالحجَّاج الوافدين إلى بيت الله الحرام من مختلف الأقطار العالم الإسلامي ، ثمَّ إنتقال هذه الثقافة إلى بلادهم الإسلامية.

٢- ياحبَّذ القيام بالوسائل المتاحة من قبل الدول الإسلامية لإعتماد سياسات ثقافية واقتصادية من أجل التنمية الثقافية للشعوب المسلمة، ولواقتضى ذلک بإيجاد وإنشاء المراكز الخاصّة بانتقال الثقافات والوصول إلى ثقافة إسلامية موحدّة، والتخلص من الثقافة الاستعمارية في مختلف الأقطار، وتهيئة أرضية مناسبة لمركز عالمي ثقافي إسلامي.

وكل ما نطالب به ويمكن أن نقوم به معاً هولأجل أن تتحقق الأمَّة الواحدة التي أرادها الله أن تكون خير الأمم،أخرجت للناس في قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ...**﴾(٣٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين، لاسيما بقية الله في الارضين، وصحبه الأخيار المنتجبين.

❁ ❁ ❁

(٣٢) سورة آل عمران: ١١٠.

فهرس المصادر

- القران الكريم .
- نهج البلاغة .
- وسائل الشيعة / الحر العاملي .
- الخصال/ الشيخ الصدوق.
- علل الشَّرايع/ الشيخ الصدوق.
- أصول الكافي/ الشيخ الكليني.
- الميزان / محمد حسين الطباطبائي .
- بحار الأنوار/ العلامة المجلسي.
- تحرير الوسيلة / الإمام الخميني .
- المحجّة البيضاء / الفيض الكاشاني.
- من لايحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق .
- جواهر الكلام /محمد حسن النجفي .
- مستدرك الوسائل / المحدِّث النوري .
- أبعاد الحج في كلام الإمام الخميني قدس سره .
- عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق.
- صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج القشيري .
- صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل .
- مسند أحمد بن حنبل،و- سنن ابن ماجة .

الأقراص الكمبيوترية (Cd)

١- جامع الأحاديث: (٤٤٢ مجلد في ١٨٧ عنوان من ٩٠ مؤلف)، إصدار مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، قم - الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الإصدار الثاني.

٣- مكتبة أهل البيت عليهم السلام: (٤٤٦٧ مجلد): إصدار مركز المعجم الفقهي للمرجع الديني آية الله السيد الگلبايگاني، الإصدارالأول.